

Arab Politicians and "Uncalculated" Translations

السياسيون العرب والترجمات "غير المحسوبة"

بقلم علي درويش

تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٦

من المخيف في عالم السياسة العربية المعاصرة افتقار معظم السياسيين العرب إلى الحس اللغوي والسليقة اللسانية. وما يقولونه في تصريحاتهم وبياناتهم اليومية المدروسة والعارضة في الصحف والإعلام يكشف عن أمور تظهر في أدناها جهلاً تاماً بأصول اللغة وافتقاراً مدقماً إلى الفطرة السليمة والمنطق الرشيد والفتنة العربية، وتدل في أقصاها على مجالات قد يؤدي الخوض في متاهاتها في علم الفراسة اللسانية الجنائية (forensic linguistics) إلى الوصول إلى مصادرها التي لا نريد التأمل فيها لما قد تظهره لنا من دلائل وإشارات قد تدينهم أو تذهب ریحهم. ففي غمرة العدوان الماجن على لبنان واستبسال مقاومته الشريفة الطاهرة وصمودها التاريخي في وجه الآلة الحربية الغاشمة، واستبكاء رجالاته واستعهار بعضهم الآخر، تعالت صيحات الاحتجاج على المقاومة فنعتوها بـ (المغامرة غير المحسوبة). ورغم ردود الفعل على هذا الوصف من جهات متعددة لم تقصر في الرد والإجابة، فقد مر هذا التعبير على الجميع مرور الكرام ولم يسأل أحدهم جهراً وعلناً (إن لا ندرى إذا حدث ذلك سراً) من أين استنبط هؤلاء العباقرة هذا التعبير. ولكننا لو تأملناه قليلاً وأخضعناه للتحليل اللغوي المنطقي لتبادر إلينا السؤال: كيف تكون المغامرة غير محسوبة؟ فالمغامرة مشتقة من الفعل غامر. وفي الأصل غامرةً مغامرةً بآطشته وقآتلته ولم يبال الموت. والمغامر والمغمّر: الملقى بنفسه في الغمرات المقتحم المهالك. فإذا كانت المغامرة كذلك فهل يكون تصرف من يلقي بنفسه في المهالك في الأصل "محسوباً" حتى لجأ هؤلاء السياسيون وأبواق إعلامهم إلى تحديد نوع المغامرة بأنها (غير محسوبة) هذه المرة؟

فخاض غمارها وشرى وباعاً¹

حصاني كان دلال المنايا

¹ لعنترة بن شداد.

لقد درج العرب على استخدام الألفاظ الفردية للتعبير عن الإيجاب والسلب والطيب والخبيث وأنفوا اعتماد المركب من الألفاظ للنفي فقالوا (معلوم) و(مجهول)، نحو (اقتادوه إلى جهة مجهولة) ولم يقولوا إلا في زمن الاستلاب الإعلامي (جهة غير معلومة). وذلك كله بحكم الترجمة الحرفية التفكيكية البلهاء عن اللغة الإنجليزية بالدرجة الأولى، (unknown)، وعن لغات أخرى لشعوب خانعة تابعة ذليلة تعاني أمراضاً تشبه الأمراض المزمنة التي يعانيها العرب فكراً ولغة وحضارة وتقنية. فإذا ما نقل المترجمون العرب من لغات مستقبلية كالتركية والأردية مثلاً، نقلوا عوراتها التي تكون قد دخلتها وأصابها من خلال الترجمة. ذلك أن معظم الشعوب المستنمية وغير المستنمية ما انفك ينقل الكلام بحرفيته واللفظ بشكله دون مراعاة مقتضيات اللغة المنقول إليها، فتتجح الترجمة أحياناً لتقارب اللغات وتخفق أحياناً كثيرة لتباعدها. فتسمع مراسلاً من أذربيجان يقول لنا (السكينة تعلق المكان)²، ثم تأتيك لجان الأدب والثقافة والمعرفة العربية تخلع عليه وعلى غيره من الأغبياء جوائزها الأدبية لأحسن رواية وأفضل قصة وأروع قصيدة وأجمل تعبير وأدق تقرير، فيضيع الأدب في قلة الأدب وطغيان الجهل واستشراء المحسوبيات والمحاباة والفساد، ويختلط المجاز بالكناية والتشبيه بالاستعارة. و"ليس التكحل في العينين كالكل". والكل يبحث عن الحقيقة!

فالت ترجمة اليوم، لاسيما في البلدان المستقبلية، في تخلف رهيب وعقم مخيف سخي، رغم تنطح العلامات وتشدد الباحثين في الشرق والغرب بنظريات وفرضيات يتلقفها الأغرار كأنها كتاب منزل. فانشغال معظمهم بالوصف وشغفهم به أدى إلى إهمال تطوير المناهج الدراسية التوليفية التي تربط البحوث "المخبرية" بواقع الحال وبالغاية من الترجمة في المقام الأول. فالرقي في العالم الحديث يقاس اليوم بالوصف لا الفرض، والشعوب "المتحضرة" والأدمغة "المتنورة" تنأى عن العسف الفكري والتزمت الإجرائي وتفصح في المجال للأساليب المختلفة والطرائق المتعددة حتى لا يبقى ما هو ثابت وراسخ وواضح، على أساس المبدأ القائل بأن "الشك هو الطريق إلى اليقين" و"من لم يشك قط لم يؤمن نصف إيمان"، حتى أضحت الثوابت متحركة كالكتبان (وهو نهج ناسف يبدو أن إحدى الفضائيات العربية أيضاً قد تبنته نهجاً لها في سياساتها الإعلامية). ولم يدروا أن في وصف الظواهر تحديداً لها وفي تحديدها فرضاً لوصف معين يتلقفه الدارس ومن يلقي عنده هوى في نفسه، وكأنه الدواء الناجع والحل الأوح للعلل والأمراض المستعصية.

ومن الواضح أن السياسيين والإعلاميين العرب يشتركون في النهج المريض نفسه، ولا فرق بين الفريقين، فنجد سياسياً يقول "نريد حلاً مرة لكل المرات"، ونسمع مترجماً صارت له مدرسته الاحترافية في الترجمة الشفهية في إحدى الفضائيات العرجمية وصار يخرج المستنسخات على هيئته

² كيف تعلق السكينة؟ لطالما كانت السكينة، وهي الطمأنينة والاستقرار، تهبط وتعم وتنتشر ولا تعلق، من سكن، أي هدأ واستقر.

وشاكلته وصوته وأدائه، يقول في ترجمة فورية: "مرة واحدة وإلى الأبد". وهو بلا ريب نقل حرفي تفكيكي جاهل معيب للتعبير الاصطلاحي الإنجليزي (once and for all)، أي بشكل حاسم ونهائي. ولقد أوردها صاحب المورد هكذا (مرة واحدة وإلى الأبد)، فأرسي دون قصد وبغير عمد قواعد الحرفية بين صفوف المترجمين والإعلاميين والسياسيين وسائر المتعلمين. ولا اختلاف هنا بين سياسي أمضى ردحاً من الزمن في المنفى وعاد إلى بلاده وفي فمه اعوجاج الغربة وفي حروفه ثلثة اللحن والشتات، وسياسي قبع في السجن مدة يتأمل فيها وأفرج عنه فخرج يتأمل³ وكأنه مازال في القيود، وسياسي ورث الحكم والزعامة المزعومة عن أبيه ولم يرث العقل والحكمة، وليس الابن كأبيه، إن كلهم يشتركون في البلاهة والاستلاب. ومن الواضح أنهم كلهم يعيشون على هامش البيئة العربية وحضارتها ولغتها، بغض النظر عن الموقع الجغرافي الذي يحتلون، سواء أكانوا في قلب الأمة العربية أو في أطرافها، وكلهم منغمسون في الاستلاب العقلي والذهني للغات أسيادهم ورعاتهم وحماتهم حتى تخرج في فلتات ألسنتهم حرفية مفككة تدل على مدى فهمهم للمصطلح واستيعابهم للتعبير في تلك اللغات. هذا أمر مخيف مرعب يكشف آلية التفكير عندهم. أفنحن "نقفز إلى النتائج" مثلما يقفزون، (يقصدون "التسرع في الحكم واستباق الأمور" - jump to conclusions)، أم أننا عن سر عبقريتهم نحن ساهون؟ أي موهبة حباهم الله بها ونعمة أنعمتها الطبيعة عليهم، وبراعة خصهم الخالق بها فتميزوا ولم يتميزوا؟ قد يجنح المرء في تحليله إلى الاستنتاج بأن طرائق تعليم اللغات الأجنبية من جهة وطرائق تعليم الترجمة من جهة أخرى طرائق قاصرة تنحصر في أجزاء الكلام بل جزئياته وتهمل المعاني بشموليتها ووظائفها وسياقاتها. وهو مبدأ تفكيكي في التعليم يقوم على التركيز على الجزئيات دون اعتبار الكل في منظومة الأنماط التي يتشكل الكل بها.

وفي إبداع مشابه وعبقرية مماثلة، ما فتى المحللون والصحافيون والمفكرون والسياسيون والمراقبون يرددون: "كل الاحتمالات مفتوحة"، و"مفتوح على كل الاحتمالات"، ترجمة للتعبيرين الإنجليزيين تبعاً: (all possibilities are open) و(open to all possibilities)، نحو: (خبراء أمريكيون: كل الاحتمالات مفتوحة)، و(حروب مفتوحة على كل الاحتمالات)، و(مشاورات الساعات الأخيرة مفتوحة على كل الاحتمالات)، و(اعتبر خبير في الشؤون الإسرائيلية أن كل الاحتمالات مفتوحة). ولكن كيف تكون الاحتمالات مفتوحة؟⁴

³ نأمل المقيّد نأمل مشى. ونأمل الرجل إذا مشى مشية المقيّد. ويقابله في الإنجليزية (shuffle). وهو أن يمشى المرء دون رفع قدميه عن الأرض بسبب القيود والأغلال أو سبب أو مانع آخر.

⁴ يشيع في العربية المعاصرة، الفعل (تمايز) بمعنى (تميز) و(امتاز). وهذا خطأ في المنطق، لأنك إذا تميزت عن فلان اختلفت عنه فتميز هو عنك حكماً لاختلفك عنه، فإذا اختلفت عنه اختلف عنك لاختلفك عنه، ما لم يكن القصد أنك تميزت عنه في شيء وتميز هو عنك في شيء آخر، عندها يصح القول (تمايز الناس). الأصل في التعبير الأخير، أي تمايز الناس، هو تفرقوا وتخاصموا واختلف بعضهم عن بعض؛ تمايز أفرأ الجماعة وتوزعوا بين عدة أحزاب. وتمايز الشيطان: اختلفا على وجه التباين؛ تتمايز اللوحتان في أسلوب الرسم. (المعاجم)⁵ بدلاً من كل الاحتمالات قائمة أو واردة.

لا يكفي أن يستخدموا اللفظ (احتمال) بمعنى إمكان حدوث الشيء، في محدث الاستعمال⁶، فهذا جزء من تطور اللغة، حتى راحوا في عهد الفضائيات يلازمونه اللفظ (مفتوح) نقلاً حرفياً عن الإنجليزية. فكيف تستوي صورة المجاز في عقولهم بين احتمال الشيء بمعنى حدوثه المشتق من (حَمَلَ)، أي رفع، ومفتوح؟ وكيف يكون ما يُحمل مفتوحاً؟ إن تعطل الملكة اللغوية واضح في التصاقهم الجاهل بالترجمة الحرفية المطلقة.

ويكثر لغتهم ولغظ وكلائهم المعتمدين للدعاية والإعلان، فإذا بهم من جهة يدعون الناس إلى (التوحد) ومن جهة يصفون الطفل الذي يعاني متلازمة الانطواء على الذات (autism) بالمتوحد. فأخطأوا في الأولى وأصابوا في الثانية، فالتوحد في اللغة هو مصدر الفعل (توحد)، وتوحد الرجل توحداً بقي وحده. وتوحد برأيه تفرّد به، والمتوحد المنفرد بنفسه وذو الوجدانية، والمتوحدون من الرهبان المنقطعون عن الناس في البراري والجبال.⁷ فمن الظاهر أن لفظي (اتحدوا) و(الاتحاد) أصبحا من مخلفات الماضي، ودعوة الناس إلى (التوحد) هي دعوتهم إلى أن يصبحوا واحداً. ومن الواضح أيضاً أن (توحد) بمعنى (اتحد) هو استعمال عامي يتردد على ألسنة معظمهم من نخب ورعا فلا يعرفون الفرق بين التوحد، بمعنى التفرد والانطواء، والاتحاد، بمعنى صيرورة الأشياء شيئاً واحداً.

ومما تقدم، فلاشك أن موضوع بحثنا هنا، وهو اللفظ (غير محسوبة)، هو ضرب من ضروب الترجمة الحرفية التفكيكية للتعبير الإنجليزي (uncalculated). فاللفظ العربي (غير محسوب) لفظ مستحدث دخيل لم يكن موجوداً في اللغة بهذا المعنى قبل إقبال العرب بلهفة وحماسة وطيش وتهور واندفاع وهوس وعدم روية على الترجمة الحرفية من جديد في زمن الاستلاب الإعلامي والفكري والسياسي. ومن الواضح أن اللفظ الذي تشدقوا به لوصف العملية العسكرية في جنوب لبنان، أي (مغامرة غير محسوبة)، هو أقصى جهدهم في ترجمة الأصل الإنجليزي (uncalculated risk). ويستطيع المرء أن يتخيلهم وقد راحوا يعتصرون أدمغتهم في ترجمته إلى العربية، فلم يجدوا حرجاً أو مشكلة في نقل (uncalculated) بـ(غير محسوبة)، على غرار ترجمتهم لـ (unprecedented) بـ(غير مسبوق)، ولكنهم حاروا وداروا في ترجمة (risk). فنظروا في "مجازفة"، و"مخاطرة"، و"مغامرة"، و"مغامرة محفوفة بالمخاطر"، في القواميس الثنائية، فلم تستقم كلها مع (غير محسوبة)، (مجازفة غير محسوبة، مخاطرة غير محسوبة)، لبقية باقية فيهم من السليقة والفطرة، فرسا رأيهم السديد على (مغامرة)، أو

⁶ في الأصل: احتمال الشيء بمعنى حمله والصنيعة تقلدها وشكرها، واحتملت ما كان منه عقوقه وأغضيت. واحتمل الرجل اشترى الحميل أي السبي المحمول من بلد إلى بلد، واحتمل الأمر أطاقه والشدة صبر عليها، واحتمل لونه على المجهول غضب وامتقع، واحتمل القوم وتحمّلوا ذهبوا وارتحلوا. والاحتمال مصدر احتمل. (المعجم)
⁷ انظر لسان العرب.

ربما استشاروا الخبراء المستعربين في الدوائر الحكومية، الذين يتحدثون العربية بكل طلاقة وطلاوة وجزالة، فأشاروا عليهم باستعمال (مغامرة)، ثم اعتذروا إليهم وإلى رؤسائهم عن الخطأ فيما بعد لأن العربية ليست لغتهم الأم!

ومن المضحك أن التعبير العربي وجد طريقه إلى اللغة الإنجليزية عبر الترجمة الارتجاعية فراحت وكالات الإعلام الخرقاء تردد (uncalculated adventure)، وذلك على أيدي الخبراء العرب والمستعربين في الترجمة والنقل والصحافة في تلك المؤسسات الأجنبية المرموقة، في عملية معكوسة للأسلوب ذاته والطرائق نفسها والבלاهة عينها المعتمدة في الترجمة إلى العربية. ولم يدرك أصحاب اللغة الإنجليزية سخافة هذا التعبير وعدم استقامته، بل لم يكثرثوا له، وقد جاء من مصادر عربية أو من نصوص مترجمة عن العربية، فلماذا الاكتئاب والحزن والاعتراض؟ هكذا يتحدث العرب العربية والإنجليزية، وعلينا (والقول لهم) كإعلام غربي "متنور وحر ومتحضر وصادق وأمين" أن ننقل التعبير العربي بحرفيته. ووافق شن طبقاً. فما أحق من عبد إلا سيده!

أنوك من عبد ومن عرسه | من حكم العبد على نفسه⁸

حتى تأتينا إحدى الفضائيات المنبهرة بأساليب الغرب المنزلة والمنزهة والمعصومة عن الخطأ والزلل في الإعلام ودنيا الاحتراف والنزاهة، ولما تبلى بعد سن الرشد، تكرر الكلام ذاته وتكرس الممارسات الرعناء نفسها بكل سذاجة وحماسة، في ملكية أشد من الملك! وكلهم "يتعممون" أثواب الرضا، كما تفوه بها في أحد البرامج الرمضانية المسلية ذاك الممثل القدير المنتحل لشخصية المتنبي وأبي فراس الحمداني، والذي يظنونه مرجعاً في اللغة العربية، (لقد كنا فقراء ولكننا كنا نتعمم أثواب الرضا). فلم يدر فقيهاً هذا أن الفعل (تعمم) ينحصر في ما يعتمر الرأس وفي لبس العمامة، وأن (الثوب) في الاصطلاح والمتعارف عليه هو مجمل اللباس، وهو ما يستر البدن، وليس بدلاً من الجزء. فلا يقال (تعمم الثوب) بمعنى ارتداه، لا حقيقة ولا مجازاً (إلا إذا كان مجازاً فاسداً، ذلك أن للمجاز شروطاً لا يستقيم دونها). فإذا بفقيرنا هذا يعتمر أثواب الرضا ودابرتة عارية مشرعة للغضب! قال الراجز:

أكل دهرٍ قد لبستَ أثوباً | حتى اكتسى الرأسُ قناعاً أشيباً

ولم يعد يعرف صاحبنا، المتمكن من لغة الضاد التي لا تخذله ولا يخذلها، الدكانَ والبقالَ وبائع الخضر، وحتى "الخضرجي"، فراح كغيره من معاصريه يتشدق بـ (grocer) و (grocery)، فاضطر

⁸ للمتنبى.

مضيفه إلى مجاراته ومسائره أبي الطيب المتنبي في القرن الحادي والعشرين، فصار يردد كلامه بتردد وتلعثم. ولقد عهدنا حرصه على التعبير بالعربية وتجنب الألفاظ الأجنبية، فإذا قال أحد الضيوف كلمة أجنبية سارع إلى ترجمتها إلى العربية، وإن على طريقته الخاصة.

فكأنْ أُنْكَ فُوكَ حِينِ سَمِعْتَهَا | وكأنْهَا مِمَّا سَكِرْتَ المَرْقَدُ⁹

وضمن هذا السياق، نتحفظنا إحدى الفضائيات "الأوسع انتشاراً" ببرنامج وثائقي سياسي فنلمح في زاوية الشاشة العليا العبارة (إعادة تمثيل) لاغتيال أحد السياسيين، ونشاهد تمثيلاً للحادثة بالأسود والأبيض والأصفر المعتق. فيتبادر إلينا السؤال: أكان الاغتيال عندما وقع أول مرة تمثيلاً كي يعاد تمثيله؟ من المؤسف أن الإعلاميين والمخرجين والمترجمين الأغبياء ترجموا اللفظ الإنجليزي (reenactment)¹⁰، في تقليدهم الأعمى، ب (إعادة تمثيل)، دون إعمال الفكر فيما يقلدون وينقلون. ويساهم في تلك الحماسة والبلاهة المعاجم الثنائية العربية المرموقة والموثوقة والمعتمدة. أو لعل (التمثيل) الأول كان تمثيلاً بالجثة وتنكيلاً بها، على عادة العرب في التشفي والانتقام! هذا مستبعد! من الواضح هنا أنهم لم يفهموا معنى المصطلح الإنجليزي (reenactment)، فظنوا أن الواقعة الأولى تمثيل واسترجاعها وتقفي أثرها تمثيلاً وتصويرياً هو إعادة تمثيل. فمن معاني (reenact)¹¹: التمثيل أو الأداء مرة ثانية، وسن القانون من جديد، وتتبع الوقائع والأحداث أو تقفي أثرها وترسمها. وهذا المعنى الأخير هو المقصود في الاستعمال الفني الإنجليزي في الأفلام الوثائقية وغيرها. بيد أن المترجمين العرب، ينتهجون الترجمة الحرفية التفكيكية المقيتة بكل غباء وحماسة، كما أسلفنا.

وبعد هذا الاستطراد المفيد، وعوداً على نبي بدء، فلو تحريت استعمال (uncalculated adventure) في صفحات الإنترنت لوجدت جميع المصادر الإنجليزية مصادر شرق أوسطية أو تعنى بالمواضيع المتعلقة بالشرق الأوسط والمنطقة العربية. ولم يسمع هذا التعبير الممجوج والمستهجن في الإنجليزية قبل ذلك. فكما هي الحال بالنسبة إلى اللفظ العربي (مغامرة غير محسوبة)، فإن للفظ الإنجليزي (uncalculated adventure) مشكلته، إذ لا تتفق الكلمتان، وهو بلا شك من غريب الاستعمال فيها وينافي منطقها. ولكن إذا استولى الفساد على الزمان وأهله، ف"تكلّموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه".

⁹ للمتنبي.

¹⁰ أحياناً يستعملون اللفظ (reconstruction) للتعبير عن الأسلوب الفني ذاته.

¹¹ لو كان القصد مجرد إعادة تمثيل لاستعملوا الفعل (re-act) المخلع (hyphenated). ولكنهم استعملوا (reenact) لدرء الشبهة.



جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

Copyright © 2006 Ali Darwish.

Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.

All Rights Reserved.

This publication is protected by copyright and intellectual property laws and must be treated like any other publication. No part of this publication may be copied, duplicated, or reproduced, in part or in whole, by any means (except for bona fide study purposes in accordance with the copyright laws) without the prior consent of the Author.

Copyright © 2006 Ali Darwish.

Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.

All Rights Reserved.